

الفلسفة النسوية موسوعة

وقفات مع كتاب الجنس الآخر لسيمون دي بوفوار | مركز باحثات

لماذا لا يهتم أحد بالنظرية النسوية | جيمس ل

وقفات مع كتاب الجنس

المفاهيم النظرية الأساسية في ال

الفلسفة النسوية موسوعة

مفهوم الفكر النسوي

في العالم الغربي والوطن العربي

ومقالات أخرى

ميشيل فوكو والنسوية



MICHELFOUCAULT

أوريليا أرمسترونج

محاضرة في الفلسفة بجامعة كوبنلاند في أستراليا،
وقد حصلت على الدكتوراه من جامعة سيدني عام ١٩٩٨م،
ونشرت العديد من المقالات حول سبينوزا، ونيشنه،
وفوكو، ودولوز، والحركة النسوية.

ترجمة: زينب صلاح
مترجمة ومهتمة بشؤون المرأة

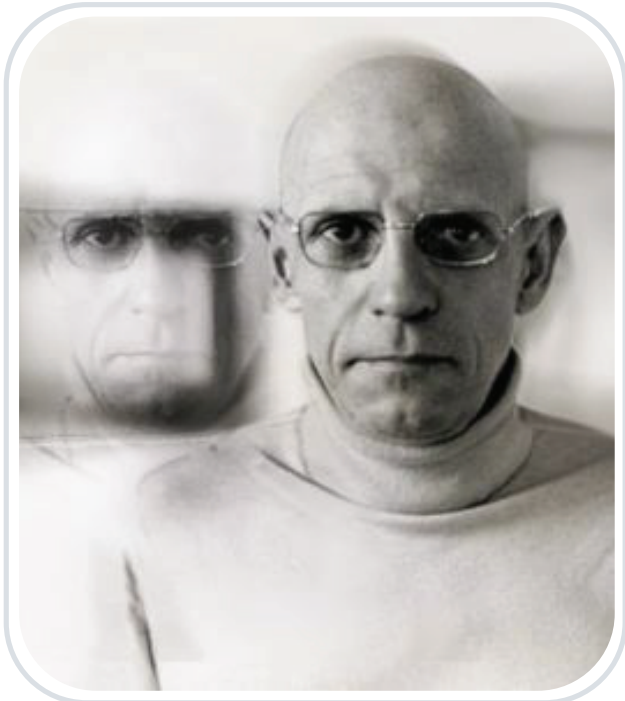
MICHELFOUCAULT

ميشيل فوكو والنسوية

برزت الحركة ما بعد البنيوية والحركة النسوية كحركتين من أكثر الحركات السياسية والثقافية تأثيرًا في القرن العشرين، وتميز التحالف الحديث بينهما بارتباط حيوي خاص بأعمال الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو Michel Foucault. ورغم أن فوكو يشير إشارات قليلة إلى النساء أو قضية الجندر (١) في كتاباته، إلا أن معالجته للعلاقات بين السلطة والجسد والجنسانية أثارت اهتمامًا نسويًا واسعًا. فقد أسهمت فكرة فوكو بأن الجسد والجنسانية بُنى ثقافية وليست ظواهر طبيعية إسهامًا كبيرًا في النقد النسوي للجوهرية (٢) Essentialism.

وبينما رأت النسويات أن تحليل فوكو للعلاقات بين السلطة والجسد تنويري، فقد لفتن الانتباه إلى قصوره.

فمن منظور السياسة النسوية التي تهدف إلى تعزيز استقلالية المرأة، يبدو ميل تفسير فوكو للسلطة إلى اختزال العوامل الاجتماعية في تطويع الجسد مُشككًا، ورغم أن العديد من لمنظرين النسويين ما زالوا ينتقدون تشكيك فوكو في تصنيفات الذات والوكالة على أساس أن مثل هذا التشكيك يقوّض الأهداف التحررية للنسوية، فقد جادل آخرون بأنه في عمله المتأخر يطور تفسيرًا أكثر صلابة للذاتية والمقاومة، لديه الكثير ليقدمه للسياسة النسوية رغم أنه لا يخلو من المشكلات من المنظور النسوي، وفيما يلي سنناقش مواطن الشد والجذب بين فكر فوكو والنسوية المعاصرة.





جدول المحتويات:

١. خلفية: تأصيل فوكو للسلطة، والمعرفة، والذات.
٢. بين فوكو والنسوية: نقاط الالتقاء والنقد.
٣. السلطة والجسد والجنسانية.
٤. الذاتية والهوية والمقاومة.
٥. الحرية والسلطة والسياسة.
٦. مراجع وقراءات أخرى.

١. خلفية: تأصيل فوكو للسلطة، والمعرفة، والذات.

يتبع فوكو في أعماله في سنواته المتوسطة -المراقبة والمعاقبة، والمجلد الأول من تاريخ الجنسية(٤) - ظهور بعض الممارسات، والمفاهيم، وصور المعرفة، والمؤسسات الاجتماعية، وأساليب الحكم التي ساهمت في تشكيل الثقافة الأوروبية الحديثة. ويسمي منهج التحليل التاريخي الذي يستعمله بالمنهج "الجيولوجي genealogical".

والجيولوجيا هي صورة من صور التاريخ النقدي، بمعنى أنها تحاول تشخيص "الزمن الحاضر، وما نحن عليه في هذه اللحظة بالذات" من أجل "التشكيك... فيما يُفترض أنه بديهي... لتبديد ما هو مألوف ومقبول" (Foucault 1988a: 265).

إن ما يميز التحليل الجيولوجي عن التاريخ التقليدي هو أنه "صورة من صور التاريخ يمكن أن تفسّر تكوين المعارف، والخطابات، ومجالات الموضوعات وما إلى ذلك، دون حاجة إلى الإحالة إلى ذات إما أن تكون متجاوزة لمجال الأحداث، أو تدور في تماثلها الفارغ

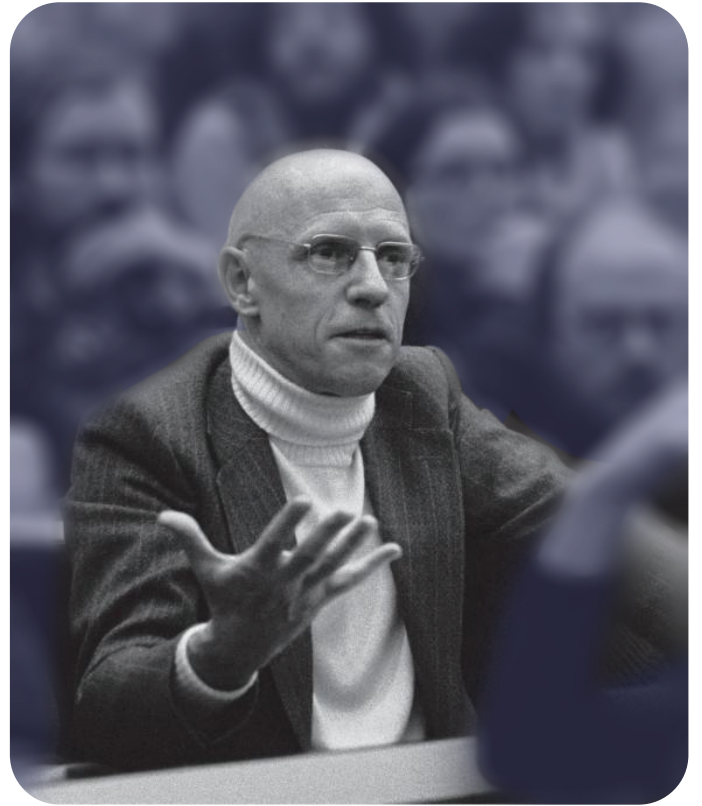
عبر التاريخ" (Foucault 149:1980). وبدلاً من افتراض أنه يمكن تفسير حركة التاريخ من خلال مقاصد وأهداف الأفراد الفاعلين، تدرس الجيولوجيا شبكة العلاقات المعقدة والمتغيرة بين السلطة والمعرفة والجسد، والتي تنتج صوراً معينة من الذاتية على الصعيد التاريخي.

يربط فوكو دراساته الجيولوجية بأحد أنماط النقد الاجتماعي الذي يصفه بأنه "الأنطولوجيا (٥) النقدية للحاضر". ويوضح في مقالة تالية أن أنطولوجيا الحاضر تتضمن "تحليلاً للحدود التاريخية المفروضة علينا" لخلق مساحة لـ "تجريب إمكانية تجاوزها" (Foucault 50:1984). ومن ثم فإن الجيولوجيا هي صورة من صور النقد الاجتماعي تسعى إلى تحديد إمكانيات تغييرنا الاجتماعي وتحولنا الأخلاقي.

ومن الأسلاك النازمة المركزية لـ جيولوجيا الحاضر عند فوكو، تحليل التحولات المتعلقة بطبيعة وعمل السلطة، والتي تميز

الانتقال إلى المجتمع الحديث. تتحدى جيولوجيا السلطة الحديثة لدى فوكو الافتراض الشائع المعتقد بأن السلطة قوة سلبية قمعية بالأساس، تعمل ببساطة من خلال آليات القانون والمحرمات والرقابة، فيحسب فوكو، لهذا المفهوم "القانوني-المنطقي" للسلطة (Foucault 82:1978) أصوله في ممارسات السلطة التي تميز مجتمعات ما قبل الحداثة.

فيزعم أن السلطة في هذه المجتمعات كانت مركزية ومنسقة من قبل حكم ذي سيادة يمارس السيطرة المطلقة على السكان، من خلال التهديد أو الإظهار الصريح للعنف، لكن منذ القرن السابع عشر وما بعده، ومع صيرورة نمو السكان ورعايتهم من الاهتمامات الأساسية للدولة، ظهرت آليات للسلطة تتمركز حول إدارة "الحياة" وتبديرها، وفي القصة المعقدة التي يرويها فوكو، اجتمعت صورة "السلطة الحيوية bio-power" هذه حول قطبين.



يهتم أحد القطبين بالسيطرة الفعالة على السكان ككل، ويركز على عمليات إدارة الحياة للهيكل الاجتماعي، ويتضمن تنظيم الظواهر مثل الميلاد، والوفاة، والمرض، والصحة، والعلاقات الاجتماعية وما إلى ذلك. ويستهدف القطب الآخر الذي يسميه فوكو "السلطة الرقابية **disciplinary power**" جسد الإنسان بوصفه شيئاً ينبغي معالجته وتدريبه.

يدرس فوكو في كتابه المراقبة والمعاقبة **Discipline and Punish** ممارسات المراقبة والتدريب المرتبطة بالسلطة الرقابية، ويشير إلى أن هذه الممارسات كانت تُغرس في بادئ الأمر في محيطات مؤسسية منعزلة، مثل: السجون، والمؤسسات العسكرية، والمستشفيات والمصانع، والمدارس، ولكنها طُبِّقَت تدريجياً على نطاق أوسع كأساليب للتنظيم الاجتماعي والسيطرة.

إن السمة الرئيسية للسلطة الرقابية هي أنها تُمارَس مباشرة على الجسد. إذ تُخضع الممارسات الرقابية الأنشطة الجسدية لعملية مراقبة وفحص مستمرة تسمح بالتحكم المستمر والواسع في السلوك الفردي. والهدف من هذه الممارسات هو تحسين قدرات الجسد، ومهاراته، وإنتاجيته في آن واحد، وتعزيز فائدته وطواعيته: "وتشكَّلت بعد ذلك سياسة إكراه تعمل على الجسد، ومعالجة محسوبة لعناصره، وإشاراته، وسلوكه.



كان الجسد يدخل في آلية للسلطة تستكشفه وتفككه وتعيد ترتيبه... ومن ثم فإن المراقبة تنتج أجساداً طيعة ومدربة أجساداً سهلة الانقياد" (Foucault 9-138:1977). لكن ليس الجسد وحده هو ما تستهدفه الأساليب الرقابية.

يقدم فوكو السلطة الرقابية بوصفها مُنتِجاً لبعض أنواع الذات أيضاً. ويصف في كتابه المراقبة والمعاقبة لطريقة التي يسيطر بها الأسلوب المركزي للسلطة

الرقابية -المراقبة المستمرة- الذي يوجّه ابتداءً نحو الرقابة على الجسد، على العقل بالإضافة إلى إحداث حالة نفسية من "الرؤية الواعية والدائمة" (Foucault 201 :1977). بعبارة أخرى، يقبل الأفراد المراقبة الدائمة لإنتاج نوع من الوعي الذاتي الذي يميّز الذات الحديثة. ومع فكرة أن السلطة الحديثة تعمل لإنتاج الظواهر التي تهدف إليها، يتحدى فوكو الفكرة السياسية للسلطة كقانون والتي تفترض أن السلطة مجرد تقييد أو قمع شيء تم تكوينه بالفعل.

فمن وجهة نظر فوكو، يستلزم الانتقال من الحداثة استبدال القانون بالمعيار كأداة أساسية للسيطرة الاجتماعية. ويربط فوكو الأهمية المفترضة للمعايير في المجتمع الحديث بتطور العلوم الإنسانية أو الاجتماعية، فيصف في المجلد الأول من تاريخ الجنسية كيف أصبح الجنس والجنسانية من القضايا السياسية الحاسمة في مجتمع يهتم بإدارة وتوجيه حياة الأفراد والسكان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ويرى أن انتشار السلطة الحيوية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بخطابات العلوم الاجتماعية حول الجنس والجنسانية التي تزايدت في هذه الآونة. كما يزعم أن هذه الخطابات تميل إلى فهم الجنس باعتباره دافعا بيولوجياً ونفسياً غريزياً له ارتباطات عميقة بالهوية، ومن ثم بالتأثيرات المحتملة على السلوك الجنسي والاجتماعي للأفراد على المدى البعيد.

برزت الحركة ما بعد البنيوية والحركة النسوية كحركتين من أكثر الحركات السياسية والثقافية تأثيراً في القرن العشرين، وتميز التحالف الحديث بينهما بارتباط حيوي خاص بأعمال الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو . Michel Foucault

وقد أدت فكرة أن الدافع الجنسي يمكن أن يعمل بطريقة صحية وطبيعية، ويمكن أن يُشوَّه ويَشَدَّ نحو أشكال مَرَضِيَّة إلى مشروع لتصنيف السلوك وفقاً لمقياس التطبيع وأمراض الغريزة الجنسية (Dreyfus & Rabinow 1982:173). منذ تأسيس العلوم الاجتماعية (والجنسية) لتصنيفات الحياة الطبيعية والانحراف، صارت مختلف التقنيات السياسية التي تهدف إلى معالجة وإصلاح السلوك "المنحرف" مقبولة بوصفها في صالح الفرد والمجتمع.

وهكذا يشير فوكو إلى أنه يمكن التحكم في سلوك الأفراد والجماعات في المجتمع الحديث بصورة متزايدة ومنتشرة من خلال معايير السواء المنتشرة في نطاق المعارف المعيارية الظنية، التشخيصية، والمحددة مثل علم الجرائم، والطب، وعلم النفس، والطب النفسي.

ومن ناحية أخرى، يصبح الأفراد المعاصرون عملاء لـ "تطبيعهم" بقدر ما يخضعون له، ويتم استثمارهم في الطبقات، والتصنيفات، والمعايير التي تروجها الخطابات العلمية والإدارية التي تدعو إلى كشف "حقيقة" هويتهم. وبالتالي فإن المجتمع الرقابي الحديث يمكن أن يستغني عن صور من القمع والقيود بسبب تحقق السيطرة الاجتماعية، من خلال استراتيجيات أكثر براعة للتطبيع، وهي استراتيجيات تنتج أفراداً "متطبعين"، ومنظمين ذاتياً.

إن رؤية فوكو حول إنتاجية الممارسات والتقنيات التي تميز تطبيع السلطة الحيوية هي التي تدعم استنتاجه العام بأن السلطة في المجتمعات الحديثة قوة إبداعية وليست قوة قمعية (Foucault 194:1977).

ففي المقام الأول يزعم فوكو أن أنظمة السلطة تعمل على إنتاجنا كمواطنين يمثلون غايات ووسائل السلطة، ويشرح هذا بقوله: "لا يجب أن يُنظر إلى الفرد على أنه نواة أولية، أو ذرة بدائية، أو مادة متعددة جامدة تأتي السلطة لتقيدها أو تجري ضدها لتهاجمها، وبذلك تقمع أو تسحق الأفراد. إذ إن أحد الآثار الرئيسية للسلطة بالفعل هي أن أجسادا معينة، أو إشارات معينة، أو خطابات معينة، تُحدَّد وتتشكل كأفراد. أي أن الفرد ليس مقابلًا للسلطة: بل هو أحد آثارها الرئيسية (Foucault 98:1980).

أسهمت فكرة ميشيل فوكو
بأن الجسد والجنسانية بُنى ثقافية
وليس تظاهرات طبيعية إسهاماً
كبيراً في النقد النسوي للجوهرية
essentialism

يشير تحليل فوكو للسلطة الحيوية المنتجة إلى تفاعل معقد بين الصور الحديثة للسلطة والمعرفة: "فممارسة السلطة تخلق المعرفة باستمرار، والعكس بالعكس، حيث تحفّز المعرفة آثار السلطة باستمرار" (Foucault 52:1980). وبحسب فوكو، يمكن القول بأن السلطة تخلق المعرفة بمعنىين مترابطين. أولاً، بمعنى أن بعض مؤسسات السلطة تجعل صوراً معينة من المعرفة ممكنة تاريخياً.

ففي حالة العلوم الاجتماعية مثلاً، يُسهّل تحسين الأساليب الرقابية لمراقبة وتحليل الجسد في محيطات مؤسسية متعددة توسيع مساحات جديدة للبحث الاجتماعي.

كما يمكن القول بأن السلطة تخلق المعرفة بمعنى أن مؤسسات السلطة تحدد الشروط التي تُعتبر التصريحات العلمية صحيحة أو خاطئة وفقاً لها (Hacking 1986).
فالحقيقة -وفقاً لفوكو- "هي شيء من هذا العالم؛ تنتج فقط بفضل صور متعددة من القيود. وهي تحفّز التأثيرات المنتظمة للسلطة" (Foucault 131:1980).

يُوحى هذا الوصف بأن إنتاج الحقيقة لا يمكن فصله كلياً عن تقنيات السلطة أبداً، ومن ناحية أخرى يؤكد فوكو أن المعرفة تحفز تأثيرات السلطة بقدر ما تشكل موضوعات أخرى للبحث - "موضوعات" مثل "المجرمين"، "والشاذين جنسياً"، و"الجنائين" - والتي يمكن بعد ذلك التلاعب بها والتحكم فيها (Rouse 97:1994). على سبيل المثال، يرى فوكو أن المعرفة التي تنتجها العلوم الإنسانية هي التي تمكّن السلطة الحديثة من الانتشار من خلال قنوات أكثر دقة، "وصولاً إلى الأفراد أنفسهم.. إلى أجسادهم، وإشاراتهم، وكل تصرفاتهم اليومية" (Foucault 151:1980). ومن أجل الإشارة إلى عمليات التكيف المتبادلة بين السلطة والمعرفة، يتحدث فوكو عن أنظمة "السلطة/المعرفة" أو "الخطابات"، أي الطرق المنظمة للمعرفة وممارسة السلطة.

٢. بين فوكو والنسوية: نقاط الالتقاء والنقد.

يُمكن تأصيل فوكو لجينالوجيات السلطة/المعرفة - من منظور النظرية الاجتماعية والسياسية المعاصرة - في التحدي الذي فرضه على الطرق التقليدية في التفكير بشأن السلطة.

هذا التحدي هو الذي جعل فوكو مصدرًا مهماً للنظرية النسوية، وأثار جدلاً ساخناً بين المنظرين النسويين الاجتماعيين والسياسيين.

ورغم وجود اتفاق واسع على أن إعادة تعريف فوكو لكيفية تفكيرنا في السلطة في المجتمعات المعاصرة تنطوي على رؤية مهمة للحركة النسوية، ما زالت النسويات منقسمات حول ما تتضمنه إعادة التعريف تلك فيما يتعلق بالنظرية والممارسة النسوية.



يعد تحليل علاقات السلطة أمراً مركزياً في المشروع النسوي لفهم طبيعة وأسباب تبعية المرأة. وقد افترضت أنماط كثيرة من النظرية النسوية أن اضطهاد النساء يمكن تفسيره من خلال البنى الاجتماعية الأبوية التي تكفل سلطة الرجال على النساء اعتماداً على النموذج التقليدي للسلطة بوصفها قمعاً.

لكن نسويات أخريات يشككن في هذا الافتراض بصورة متزايدة، أولئك اللاتي يعنين بمواجهة ما يعتبرنه مفهوماً مُجْزِئاً لعلاقات السلطة تستلزمه تلك الرؤية، بالإضافة إلى الإشكالية المضمنة فيها، والمتمثلة في أن النساء مجرد ضحايا سلبية لسلطة الرجال، لا حول لهن ولا قوة.

وفي سياق هذا النقاش، تستخدم بعض النسويات عمل فوكو حول السلطة لتطوير تحليل أكثر تعقيداً للعلاقات بين الجندر والسلطة، والذي يتجنب افتراض أن اضطهاد المرأة ناتج عن حيازة الرجل للسلطة بأي طريقة كانت.

وعلى أساس فهم فوكو للسلطة بوصفها تمارس ولا تمتلك، بوصفها تنتشر في أنحاء الهيكل الاجتماعي بدلا من التحرك من أعلى لأسفل، وبوصفها إنتاجية وليست قمعية (Sawicki 164:1988)، سعت النسويات إلى تحدي تفسيرات علاقات الجندر التي تؤكد على الهيمنة والإيذاء؛ للانتقال إلى فهم أكثر إحكامًا لدور السلطة في حياة النساء. لقد أسهمت إعادة تعريف فوكو للسلطة إسهاما كبيرا ومتنوعا في هذا المشروع، وقد مكّنت فكرة فوكو القائلة بأن السلطة تتكون مما تعمل عليه النسويات، من استكشاف الطرق المعقدة في غالبيتها، والتي تُبنى فيها خبرات النساء، وفهمهن الذاتي، وسلوكهن، وقدراتهن ضمن علاقات السلطة التي يسعين

رغم وجود اتفاق واسع على أن إعادة تعريف فوكو لكيفية تفكيرنا في السلطة في المجتمعات المعاصرة تنطوي على رؤى مهمة للحركة النسوية، ما زالت النسويات منقسمات حول ما تتضمنه إعادة التعريف تلك فيما يتعلق بالنظرية والممارسة النسوية.

إلى تغييرها وعن طريقها. لقد لعبت فكرة أن السلطة الحديثة تتضمن إنتاج الأفراد وليس مجرد قمعهم دورًا في حراك مثير للجدل داخل النسوية بعيدا عن التوجهات السياسية التحررية التقليدية.

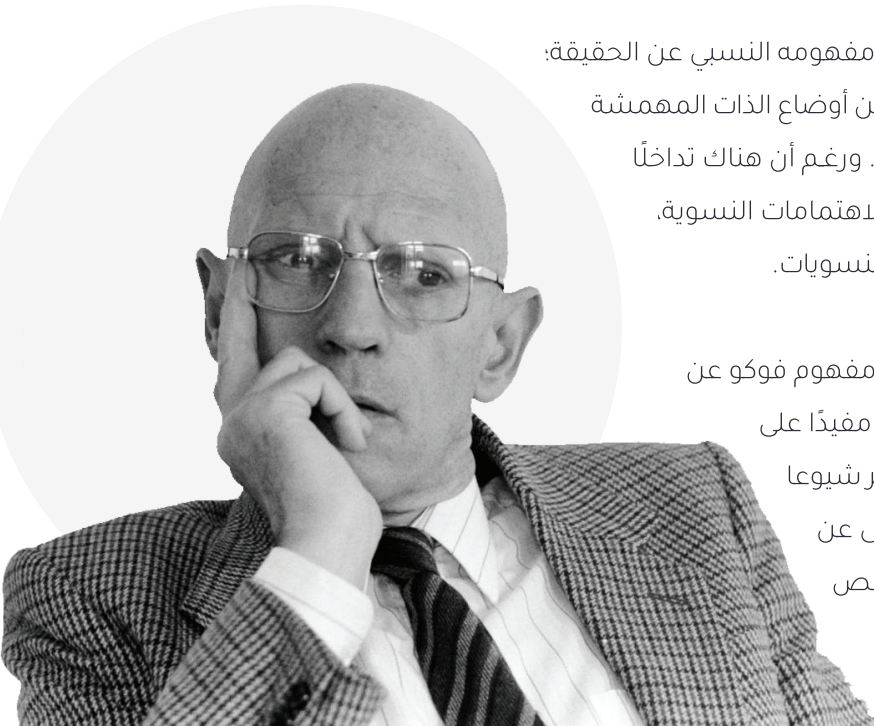
وتحاشيا لبرنامج سياسي تحرري يهدف إلى تحرير كامل من السلطة؛ تركز النسوية المتأثرة بفوكو على كشف الأشكال المركزية التي تتخذها علاقات السلطة الجندرية على المستوى السياسي الدقيق، لتحديد إمكانيات ملموسة للمقاومة والتغيير الاجتماعي، واستندت الباحثات النسويات في متابعة هذا المشروع إلى تحليل فوكو للبُعد الإنتاجي للسلطة الرقابية التي تمارس خارج المجال السياسي ضيق الحدود؛ لمدارسة طريقة عمل السلطة في حياة النساء اليومية.

كما وجدت بعض النسويات رأي فوكو بأن الجسد هو الموضوع الأساسي للسلطة في المجتمع الحديث يفيدهن في سبر أغوار السيطرة الاجتماعية، من خلال أجسادهن وحياتهن الجنسية.

وفي النهاية تبنت النسويات تحليل فوكو للسلطة/المعرفة، بتأكيد على المعايير التي تُصَفى الشرعية من خلالها على المعرفة، لتطوير نظرية تتجنب التعميم من خبرات الحركات النسوية الغربية، والبيضاء، والتي تميل للجنس الآخر، ونسويات الطبقة الوسطى.

واعتمادا على تشكيك فوكو في الجواهر الثابتة ومفهومه النسبي عن الحقيقة؛ سعت النسويات إلى خلق فضاء نظري للتعبير عن أوضاع الذات المهمشة حتى الآن، وعن منظورها السياسي ومصالحها. ورغم أن هناك تداخلاً كبيراً بين تحليل فوكو للسلطة/المعرفة وبين الاهتمامات النسوية، إلا أن عمله كان موضوعاً للنقد القوي من قِبَل النسويات.

تثير بنية العمل الأهم هذه جدلاً حول جوانب من مفهوم فوكو عن السلطة، والذي وجدته النسويات الفوكويّات (٦) مفيداً على وجه الخصوص. وتتركز الاعتراضات النسوية الأكثر شيوعاً على قضيتين: على نظريته إلى الذاتية بوصفها تُبنى عن طريق السلطة، وفشله في تحديد المعايير التي تخص مشروعه النقدي.



تقول نانسي فريزر Fresar Nycna أن المشكلة في زعم فوكو أن صور الذاتية تتشكل عن طريق علاقات السلطة هي أنه لا يترك مجالاً لمقاومة السلطة. فإذا كان الأفراد مجرد آثار للسلطة، أو مجرد "أجساد طيعة" تشكلها السلطة، سيصبح من الصعب تفسير من الذي يقاوم السلطة. ومن ثم تجد فريزر أن تأكيد فوكو على أن السلطة دائماً ما تولد المقاومة غير متماسك، وتحتج من ناحية أخرى بأن رفض فوكو للتعبير عن المعايير المبررة بشكل مستقل والتي ستمكّنه من التمييز بين الصور المقبولة وغير المقبولة يعني أنه لا يستطيع إجابة الأسئلة الحاسمة حول السبب في أن الهيمنة يجب أن تُقاوم، وبحسب فريزر "لا يمكن لفوكو أن يخبرنا بالخطأ في نظام السلطة/المعرفة الحديث ولماذا يجب أن نعارضه إلا بتقديم الأفكار المعيارية" (Fraser 29:1989). ومن وجهة نظرها، يُقلّل موقف فوكو المحاييد معيارياً من السلطة من قدر عمله بالنسبة للنسوية؛ لأنه يفشل في توفير الموارد المعيارية المطلوبة لنقد بُنى الهيمنة، ولتوجيه برامج للتغيير الاجتماعي.

تؤكد نانسي هارتسوك Nancy Hartsock -في محاكاة وامتداد لانتقادات فريزر- أن استشكال فوكو لتصنيفات الذاتية والوكالة يجب أن لا تثق فيه النسويات. وتتساءل: "لماذا الآن فقط عندما يبدأ كثير منا ممن أُسكتوا في المطالبة بحق تحديد ذواتهم، والتصرف كذوات لا كموضوعات تاريخية، يصبح مفهوم الذاتية subjecthood حينئذ مشكلاً؟" (Hartsock 164:1990).

وعلى غرار فريزر، ترى هارتسوك أن مفهوم فوكو عن السلطة الحديثة مشكّل كما أنه يختزل الأفراد إلى "أجساد طيعة" بدلاً من كونهم ذوات لها القدرة على مقاومة السلطة. وترى أن فهم فوكو للذات بوصفها تأثيراً للسلطة يهدد استمرارية السياسة النسوية؛ لأنه ينكر الذات التحررية. ومن ثم يحكم على النساء بالاضطهاد الدائم. كما تحتج هارتسوك بأن رفض فوكو للاعتقاد التنويري المتمثل في أن الحقيقة تعارض السلطة بشكل جوهري (وبالتالي تلعب دوراً تحريراً لا محالة) يقوض الأهداف السياسية التحررية للنسوية.

تؤكد هارتسوك من خلال التأكيد على العمليات المتبادلة بين المعرفة والسلطة أن فوكو ينكر إمكانية المعرفة التحررية. أي ينكر إمكانية أن تؤدي المعرفة المتزايدة والأفضل للسلطة الأبوية إلى التحرر من الاضطهاد، ولهذا السبب فإنها تعتقد أن عمله يتعارض بشكل أساسي مع التوجه السياسي التحرري للنسوية. تتوجه انتقادات فوكو هذه إلى مفهومه الموسع عن الذات والسلطة في سنواته الوسطى، غير أن بعض النسويات جادلن بأن فوكو في عمله المتأخر قد عدّل منظوره النظري بطرق تجعله أكثر فائدة لمشروع التعبير عن أخلاقيات وسياسات نسوية متماسكة. وستناقش الاستجابات النسوية لعمل فوكو المتأخر في البند الأخير.

٣. السلطة والجسد والجنسانية.

هناك عدة جوانب لتحليل فوكو للعلاقة بين السلطة والجسد والجنسانية حفزت الاهتمام النسوي.

أولاً: أن تحليلات فوكو للأبعاد الإنتاجية للسلطات الرقابية التي تمارس خارج المجال السياسي الضيق تتداخل مع المشروع النسوي لاستكشاف السياسات الدقيقة في الحياة الشخصية، وكشف آليات السلطة الأبوية في أكثر المستويات حميمية من خبرة النساء.

ثانياً: أن معالجة فوكو للسلطة وعلاقتها بالجسد والجنسانية أمدّت المنظرين النسويين الاجتماعيين والسياسيين ببعض الأدوات المفاهيمية المفيدة لتحليل البناء الاجتماعي للجنس والجنسانية، وأسهمت في نقد الجوهريّة في إطار النسوية.

ثالثاً: أن النسويات استخدمن تعريف فوكو للجسد كهدف أساسي للسلطة في تحليل الصور المعاصرة للسيطرة الاجتماعية على أجساد النساء وعقولهن.

بدلاً من التركيز على المصادر المركزية للسلطة المجتمعية في جهات مثل الاقتصاد أو الدولة، يؤكد تحليل فوكو على المستوى الدقيق لعلاقات السلطة، ويحتج بأنه نظراً لأن السلطة الحديثة تعمل بنمط دقيق على مدار البنية الاجتماعية؛ فمن الأفضل أن تُفهم في آثارها الملموسة والمحلية وفي ممارسات الحياة اليومية التي تدعم علاقات السلطة وتعيد إنتاجها. وقد تلاقى هذا التأكيد على الممارسات اليومية التي يُعاد إنتاج علاقات السلطة من خلالها مع المشروع النسوي لتحليل سياسة العلاقات الشخصية، وتغيير علاقات السلطة الجندرية على مستويات الخبرة الأكثر حميمية "في مؤسسات الزواج، والأمومة، والحياة الجنسية الإلزامية بين الجنسين، وفي العلاقات "الخاصة" بين الجنسين، وكذلك في الطقوس اليومية، والأنظمة التي تحكم علاقات النساء بذواتهن وبأجسادهن" (Sawicki 93:1998).

تلاحظ نانسي فريزر أن عمل فوكو يعطي زخماً متجدداً لما يسمى "سياسة الحياة اليومية" بقدر ما يقدم "الأسس التجريبية والمفاهيمية لمعالجة ظواهر مثل الجنسية، والمذهب، والطب النفسي، والطب، وعلم الاجتماع كظواهر سياسية"، وتحتج بأنه نظراً لأن مقارنة فوكو لتحليل السلطة تؤيد معالجة المشكلات في هذه المساحات بوصفها مشكلات سياسية؛ فإن ذلك "يوسع الحلبة التي يجابه الناس فيها أسلوب حياتهم ويفهمونه ويحاولون تغييره بصورة جماعية" (Fraser 26:1989).

يعد تعريف فوكو للجسد والجنسانية كموضع مباشر للسيطرة الاجتماعية أحد أكثر آرائه إثماراً على المستوى السياسي الدقيق.

يؤكد فوكو على الخصوصية التاريخية للجسد. لقد جعل التركيز على الجسد باعتباره مستهدفاً بصورة مباشرة، وتكوّنه أنظمة السلطة الحيوية المتغيرة تاريخياً صياغة فوكو للنظرية ما بعد البنيوية هي الأكثر جاذبية بالنسبة للمنظرين النسويين الاجتماعيين والسياسيين.

فقد كانت مشكلة كيفية تصور الجسد دون اختزال أهميته في جوهر بيولوجي ثابت واحدة من القضايا الرئيسية للنظرية النسوية. إذ تعتبر فكرة الجسد مركزية في التحليل النسوي لقمع النساء بصورة أساسية؛ لأن الاختلافات البيولوجية بين الجنسين هي القاعدة التي ساعدت على تأسيس عدم المساواة بين الجنسين، وإضفاء الشرعية عليها. وبموجب المطالبة بسمات بيولوجية غير تاريخية، تصبح فكرة أن المرأة أقل شأنًا من الرجل فكرة طبيعية وشرعية، ويستلزم ذلك اثنين من الانتقالات المفاهيمية ذات الصلة.

أولاً: أنه يُحكم على أجساد النساء بأنها أقل شأنًا اعتماداً على القواعد والمثل القائمة على القدرات البدنية للرجال.

وثانياً: أن الوظائف البيولوجية تنهار داخل الخصائص الاجتماعية، ففي حين يُعتقد تقليدياً أن الرجال قادرون على تجاوز المستوى البيولوجي من خلال استخدام ملكاتهم العقلية، نجد ميلاً إلى تعريف النساء بموجب قدراتهن البدنية على الإنجاب والأمومة.

وفي محاولة لتجنب خلط التصنيف الاجتماعي للنساء بالوظائف البيولوجية (الجوهرية)، طورت النماذج النسوية السابقة نظرية للبناء الاجتماعي، قائمة على التفريق بين الجنس والنوع. يمثل التفريق بين الجنس والنوع الاجتماعي [الجندر] محاولة من جانب النسويات لقطع الصلة بين التصنيف البيولوجي المتعلق بالجنس والتصنيف الاجتماعي المتعلق بالنوع، ووفقاً لرؤية البناء الاجتماعي تلك، فإن النوع هو المعنى الاجتماعي الذي يتم ربطه بجنس الجسد باستمرار، وبمجرد فهم النوع بوصفه مبنياً على أساس ثقافي، يصبح من الممكن تجنب الفكرة الجوهرية القائلة بأن النوع مشتق من الجسد بأي صورة، لكن التفريق بين الجنسين البيولوجيين دون مرجعية تاريخية وبين الأدوار الجندرية المبنية على أساس ثقافي يتحدى فكرة أن التركيب البيولوجي للمرأة هو قدرها الاجتماعي، وهو يستلزم فصلاً مريباً للأنواع التي بنيت على أساس ثقافي عن جنس الأجساد.

كان أثر هذا الفصل هو أن جنس الجسد صار يُرى على أنه عديم الصلة بالهوية الثقافية لنوع الفرد. وقد قادت هذه النتيجة المقلقة لتصور التفريق بين الجنس والنوع بعض النسويات إلى تبني نظرية فوكو عن الجسد والجنسانية.

يطوّر فوكو في المجلد الأول من كتاب تاريخ الجنسانية تفسيراً مناهضاً للجوهرية بشأن الجسد الجنسي رغم أنه لا ينكر أهميته. وفي قلب كتاب فوكو تاريخ الجنسانية، يوجد تحليل لإنتاج تصنيف الجنس، ووظيفته في أنظمة السلطة التي تهدف إلى السيطرة على الجسد الجنسي. يحتج فوكو بأن البناء "الطبيعي" المفترض للجنس يحدث لإخفاء العملية الإنتاجية للسلطة فيما يتعلق بالجنسانية: فقد "أحدث مفهوم الجنس انعكاساً أساسياً؛ إذ أتاح قلب تمثيل علاقات السلطة إلى

الجنسانية، مما تسبب في ظهور الأخيرة. ليس في علاقتها الجوهرية والإيجابية بالسلطة، ولكن بوصفها متجذرة في حتمية محددة وغير قابل للاختزال تحاول السلطة أن تهيمن عليها بقدر ما تستطيع" (Foucault 155:1978).

يزعم فوكو هنا أن العلاقة بين السلطة والجنسانية تُحرّف حينما يُنظر إلى الجنسانية على أنها قوة طبيعية جامحة تعارضها السلطة ببساطة أو تقمعها أو تقيدها، وأنه ينبغي فهم ظاهرة الجنسانية بوصفها مبنية على ممارسة علاقات السلطة. وبناء على تفسير فوكو للبناء التاريخي للجنسانية، والدور الذي يلعبه تصنيف الجنس في هذا البناء، تمكنت النسويات من إعادة النظر في الجندر لا باعتبار المعاني الثقافية المرتبطة مسبقاً بالجنس، ولكن بصياغة جوديث بتلر **Butler Judith** "باعتبار الوسائل الثقافية التي ينتج من خلالها 'طبيعة مجنّسة' أو 'جنساً طبيعياً' وتؤسّس بوصفها سابقة على الثقافة" (Butler 7:1990).

تحتج باتلر-تابعه فوكو- بأن فكرة الجنس "الطبيعي" الذي يسبق الثقافة والتنشئة الاجتماعية مضمّنة في إنتاج علاقات السلطة الجندرية والحفاظ عليها؛ لأنها تطبّع الفكرة التنظيمية المتمثلة في المغايرة الطبيعية المفترض للجنس، وبالتالي فإنها تعزّز القيود الإنجابية المفروضة على الحياة الجنسية. وبالإضافة إلى رؤية فوكو المناهضة للجوهرية فيما يتعلق بالجسد والجنسانية، فإنه يؤكد على الحقيقة المادية للجسد، ويحتج بأن هذه الحقيقة المعقدة يخلُ بها التصنيف البيولوجي للجنس، والذي يضم مجموعة من الوظائف والمتع الجسدية المختلفة والمنفصلة في "وحدة مصطنعة".

وهكذا يشرح فوكو في كتاب تاريخ الجنسانية أن: "الغرض من هذه الدراسة في الواقع هو إظهار كيف أن نشر قوات السلطة يرتبط بالجسد بشكل مباشر-بالأشخاص، والوظائف، والعمليات الفسيولوجية، والأحاسيس، والمُتَع؛ دون لجوء إلى محو الجسد، فمن الضروري جعله ظاهراً للعيان من خلال تحليل لا يتعاقب فيه البيولوجي والتاريخي... وإنما يرتبطان بصورة متزايدة بطريقة معقدة، وفقاً لتطور التقنيات الحديثة للسلطة التي تستهدف الحياة. وبالتالي فإنني لا أتصور "تاريخاً من العقلانيات" ينظر للأجساد من خلال الطريقة التي يتم إدراكهم وإعطائهم المعنى والقيمة بها فحسب، وإنما "تاريخ من الأجساد" والطريقة التي يتم بها استثمار أهم الجوانب المادية والحيوية فيها" (Foucault 2-151:1978).